

الأحرف السبعة

معناها . دلالتها . أشارها

للكتوفاروق حمادة

1 - يستند هذا البحث الى الاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) وقد وردت هذه الاحاديث من طريق عدد من الصحابة الكرام بلغ عددهم خمسة وعشرين صحابيا ، وهم أبي بن كعب ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن الصامت ، وعبد الله بن مسعود وأبو هريرة ، وأم أيوب ، وعبد الله بن عباس ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، وهشام بن حكيم بن حزام ، وزيد بن أرقم ، وأبو طلحة زيد بن سهل الانصاري ، وأبو جهيم الانصاري ، وأبو بكر نقيع بن الحارث الثقفي ، وسليمان ابن صرد ، وحذيفة بن اليمان ، وسمرة بن جندب ، وعبد الرحمن بن عوف ، عثمان بن عفان ، عمرو بن أبي سلمة ، عمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، أبوسعيد الخدري ، أبو ايوب الانصاري (1) وزيد بن ثابت وحديثه في مستدرک الحاكم وهو صحيح .
ولهذا قال أبو عبيد ، قد تواترت هذه الاحاديث كلها على الأحرف السبعة .

وقد أخرج الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أن عثمان بن عفان قال على المنبر : أذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان

(1) انظر سياق وجمع احاديثهم في تفسير ابن جرير الطبري صحر الجزء الاول
وفضائل القرآن لابن كثير .

القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف لما قام ، فقاموا حتى لم يحصوا فشاهدوا بذلك ، فقال عثمان رضي الله عنه : وأنا أشهد معهم .

2 - أجمع الأحاديث الواردة وأبرزها حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أخرجه الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم وجاء فيه عن عمر: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة فتردصت حتى سئم فليبقه بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها ، قال : أرسله ، يا هشام اقرأ فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني فقال : هكذا أنزلت . ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه .

وكذلك حديث أبي بن كعب وقد أخرجه مسلم وأصحاب السنن الأربعة والامام أحمد وابن جرير الطبري وغيرهم قال أبي : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها - عند ابن جرير في سورة النمل - ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى صاحبه فلما قضيتا الصلاة دخلنا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ان هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه .

فدخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فحسن شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ، ولا اذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى ما قد غشيني ، ضرب في صدري ففضت عرقا ، وكأنما انظر إلى الله تعالى فرقا فقال لي : يا أبي اني أرسل الي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي ، فرد إلى الثانية أن أقرأ على حرفين ، فرددت إليه أن هون على أمتي ، فرد إلى أن أقرأ على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة ردتكها ، مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتي

اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم وفي رواية أخرى عن أبي : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضواء بني غفار(2) فأتاه جبريل فقال : ان الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على حرف فقال اسأل الله معافاته ومغفرته ، وان أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : ان الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على حرفين ، فقال : اسأل الله معافاته ومغفرته ، وان أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : ان الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاء الرابعة فقال : ان الله يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبى حرف قرأوا عليه فقد أصابوا .

وفي رواية أخرى عن أبي بن كعب : قال لي صلى الله عليه وسلم : يا أبي اني أقرئت القرآن فقل لي : على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي : قل على حرفين فقل لي على حرفين أو ثلاث فقال الملك الذي معي قل على ثلاث ، قلت : على ثلاث حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال : ليس منها الاثبات كاف ان قلت : سميها عليما عزيزا حكيما ، ما لم تختم آية عذاب او آية رحمة بعذاب .

وحديث ابن مسعود : أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأها على خلاف ذلك قال : فأخذت بيده فانطلقت به اليه صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فعرفت في وجهه الكراهية وقال : اقرأ فكلاهما محسن ، ولا تختلفوا وان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا (أخرجه البخاري وغيره) .

وحديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقراني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف (أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما) .

(2) الأضواء هي الخيزر او مستنقع الماء ، وجمعه أضواء - كمصا - وقيل بلاد والهزم مثل

اناء ، وهي موضع بالمدينة النبوية ، ونسبت الى بني غفار لانهم نزلوا عندها .

وفي رواية عن أبي بن كعب قال : لقي جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أحجار المرا - موضع بقاء - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : اني بعثت الى أمة أميين فيهم الشيخ العاسي والعجوز الكبيرة ، والفلاح ، فقال : مرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف - أخرجه أحمد والترمذي .

ومن هذه النصوص التي سقناها والنصوص الأخرى يظهر لنا أن الأحرف السبعة :

1 - هي رحمة من الله عز وجل للامة الإسلامية ، وتخفيف للمشتقة عليها وتيسير القرآن الكريم لها ، ورفع الحرج في الاستفادة من القرآن الكريم .

2 - هذه الأحرف قد تلقاها النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل ، وبالتالي هي متلقاة من الله عز وجل كما يدل على ذلك حديث ابن عباس : أقرأني جبريل على حرف فراجته فلم أزل أستزيده ويزيدني ... الحديث ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وقد تعددت رواياته وطرقه وفي هذا دلالة واضحة على أن الأمر بالأحرف السبعة ووضعها ليس للنبي صلى الله عليه وسلم بل لله الأمر من قبل ومن بعد ، وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتصرف فيه أدنى تصرف يقول الله عز وجل : « قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ؟ » سورة يونس « (15-16) » .

3 - تصحيح هذه الاحاديث التي جاءت في الموضوع والتي فيها ذكر الخلاف بين صحابين أو أكثر ، تنص بصريح العبارة اما أن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا ذلك الحرف أو الوجه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهشام بن حكيم مع عمر قال له : أخذته من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي مع صاحبيه وابن مسعود كذلك ، ونستدل بذلك على أنه ليس للصحابة أو لغيرهم أن يقرأ القرآن أن يؤديه بالكيفية التي يريد بل

اللفظ والاداء لابد أن يردا عن الصادق المصدوق وفي هذا يقول ابن عطية رحمه الله تعالى : « فأباح الله تعالى لنبيه هذه الحروف السبعة ، وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذي فيه الاعجاز وجودة الوصف ، ولم تقع الاباحة في قوله عليه السلام : (فأقرأوا ما تيسر منه) بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ، ولو كان هذا لذهب اعجاز القرآن ، وكان معرضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله ، ، فقرأ مرة لابي بما عارضه به جبريل صلوات الله عليهما ، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضا (3) ويمكننا ان نقول ان الصحابة رضوان الله عليهم الذين أنكروا قراءة غيرهم لم يشهدوا قراءة هذا الوجه الذي أنكروه من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يسمعه منه .

ولأبعد ذلك بل جد محتمل فالنبي صلى الله عليه وسلم كانت احواله كلها دعوة الى الله عز وجل ، فاذا ماخرج الى اصحابه في ضواحي المدينة صلى بهم وقرأ عليهم القرآن ، واذا ما اجتمعوا عليه في المسجد كان كذلك ، واذا خرج في غزواته قرأ فأسمع من حوله ، ومن الممكن جدا أن يقرأ فسي كل مرة بما يناسب المقام ، وكيف لا وقد آتاه الله عز وجل الحكمة وفصل الخطاب ، من ذلك قراءته صلوات الله عليه وسلامه لسورة الفتح وهو يدخل مكة يرجع بها ترجيعا كما ذكر ذلك عبد الله بن مغفل المزني واخرجه الشيخان واحمد وأبو داود ، ويقول معاوية بن قرة الذي روى كيفية قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وترجييمه عن عبد الله بن مغفل : لولا ان يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت ، وجاء في رواية اخرى ان ترجييمه كان آ . آ . آ .

كما اننا نلاحظ ان وقائع الخلاف كانت مرات معدودة ، ولعل وقوعه لم يتكرر بعد شيوعه بين الصحابة وانتشاره بينهم ، ويدل على انتشار هذا الخبر بينهم أمور كثيرة ، منها حديث عثمان المتقدم عندما استنشد

(3) انظر تفسير ابن عطية 30/1 .

الصحابية رضوان الله عليهم فقاموا حتى لم يحصوا ، ثم عدم الإنكار من الصحابة على بعض واستمرار هذا الأمر حتى جاء التابعون والتقوا في الفتوح فكان كل واحد يتعلق بقراءة صحابي كما هو مبين في اسباب جمع القرآن ، واحاديث كثيرة جدا ، وبناء على ذلك فدعوى من يقول ان بعض القراءات كان بالمعنى غير وارد قطعاً وغير صحيح .

وقد استشكل بعض المعاصرين ذلك بقوله : فهل كان كل وجه من الوجوه المختلفة صادرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ليس من حقا ولا في مقدورنا ان نعطي على ذلك اجابة محدودة ... ثم يضع احتمالات ...

ولكن النصوص التي وردت عن اصحاب الحروف فيها كثير من التأكيد ان كل واحد منهم تلقى ذلك من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك ما يقطع الاحتمالات التي وضعها ، ويزيل هذا الاستشكال .

(4) تجمع الروايات الواردة في الموضوع على ان عدد الاحرف التي نزل بها القرآن سبعة ، وتشير بالنص الصريح على ان العدد المعروف المحدد بدن الستة والثمانية وليس المقصود به ارادة الكثرة والاتساع كما ذهب الى ذلك القاضي عياض وطائفة تبعته على هذا القول (4) .

كما عرف من مذاهب العرب الكلامية حين يطلقون السبعة والسبعين ارادة التكثر وعدم الحصر ، كما في قوله تعالى : (ان تستغفر لهم سبعين مرة قلن يغفر الله لهم) وقوله سبحانه وتعالى : (كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) قال ابن الجزري معقبا على مانحاه القاضي عياض ومن تبعه : وهذا جيد لولا ان الحديث يأباه .

(5) ليس لنا ان نفضل - بناء على النصوص الواردة - بين حرف وآخر لانها كلها من عند الله ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : كلها كاف شاف ، ويذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيقول في

حديث أبي جهيم الانصاري « القرآن يقرأ على سبعة أحرف ، فلا تماروا في القرآن فان المراء في القرآن كفر» أخرجه احمد باسناد صحيح ، ومثله عند النسائي واحمد من طريق أبي هريرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن الاحرف التي تقرأ امامه فيقول لكل الرجلين : كلا كما حسن

(6) ثم ان النصوص تدل على ان الاحرف وجوه في اللفاظ وليست في المعاني ، فالصحابه عندما كانوا يحتكمون لم يكونوا يحتكمون لاختلافهم في المعاني والدلالات المتعارضة بل لاختلافهم في الحروف والاداء ، كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه مع هشام ، «فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئتها رسول الله صلى الله عليه وسلم» ولهذا قال الزهري : بلغني ان تلك السبعة انما هي في الامر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام واشتير الى ان قوله بلغني هكذا ورد في الصحيحين وقد أخرجه عنه ابو داود في سننه من قوله ، وهذا يفيدنا ان هذه الاحرف لاتعطي احكاما متعارضة فيما بينها ، وهذا لاينفي ان يكون بعضها اصرح في الدلالة على الحكم او ادق واوضح في بيانه كما في قوله تعالى وان كان ريل يؤث كلاله او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس، فقد قرأ سعد بن ابي وقاص : وله اخ او اخت من ام بزيادة لفظ (من ام) فتبين ان المراد بالاخوة في هذا الحكم الاخوة للام دون الاشقاء ومن كانوا لاب .

(3) ماهو المقصود من الاحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ؟ لقد اختلف العلماء قديما في مسألة الاحرف السبعة المقصودة بهذه الاحاديث على أقوال كثيرة جدا بلغت كما يقول السيوطي نحواً من اربعين قولاً ، وقال ابن الجوزي : وقد ذكر الحافظ ابو حاتم بن حبان ان العلماء اختلفوا في معناه على خمسة وثلاثين قولاً ... ومنها ما لا يصح الاعتماد عليه في توجيه الحديث وذكر غيره غيرها (5) .

ولا تزال هذه المسألة تدرس وتناقش وتكثر حولها الآراء يوماً بعد يوم

(5) انظر ابن الجوزي فنون الاضغان ص 31 ، وانظر السيوطي الاتقان 45/1 .

والجدير بالذكر انه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم او عن الصحابة رضوان الله عليهم تفسير لهذا الحديث .

الا ما روى عن ابن مسعود مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم :
(كان الكتاب الاول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف زاجر ، وأمر ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وامثال ، فأطوا حلاله ، وحرّموا حرامه ، وأفعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بامثاله ، وأعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا) أخرجه ابن جرير الطبري والبيهقي والحاكم ذكرهما السيوطي في الاتقان ، وأخرجه ابن الجوزي من طريق أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود : ان الكتب كانت تنزل من باب واحد ... الحديث .

وقد أخرجه الطبري موقوفا على ابن مسعود وقال ابن كثير وهو أشبه ، وقد طعن بعضهم في صحة الحديث ونقل عن ابن عبد البر قوله : وهو حديث عند أهل العلم لا يثبت وهو مجمع على ضعفه (6) .

والذي تبين لي ان اسناد الحديث صحيح وله طرق ، فوجب ان لانحمله على معنى الحرف المقصود بحرف النزول بل لعل المقصود منه ما ذكره ابن الجوزي بقوله : ومعنى هذا الحديث ان الكتب كانت تنزل من باب واحد اي انها كانت تحتوي على المواعظ فحسب ونزل القرآن مشتملا على الوجوه

(6) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري 29/9 : قال ابن عبد البر هذا حديث لا يثبت لانه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ، ولم يلق ابن مسعود ، وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود ، وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري عن أبي سلمة وقال : وهذا مرسل جيد . انتهى كلام الحافظ .

قلت : تضعيف ابن عبد البر وابن حجر مردود بما بينته رواية ابن الجوزي لهذا الحديث فان أبا سلمة قد رواه عن أبي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لابن مسعود الحديث فانتهى الانقطاع واتصلت الرواية ، ويؤكد صحتها رواية البيهقي بالمرسلة ، انظر فنون الاثنان لابن الجوزي ص 31 .

المذكورة . على ما في هذا الجواب من تكلف وقد فسرهُ ابن جرير الطبري بأن القرآن نزل من السبعة : ابواب الجنة او على عدد ابواب الجنة وهي المعاني التي فيها الامر والنهي ... واذا عمل بها العامل وانتهى الى حدودها استوجب به الجنة .

ومن ابرز الآراء التي قيلت في الموضوع وان كان بعضها مغرقا فسي الغموض والرمزية وهو الى الباطنية اقرب منه الى روح الشريعة الفراء الواضحة .

ان الحروف السبعة هي : حلال وحرام ، وامر ونهي ، وخبر ما كان ، وخبر ما هو كائن وامثال ، وبعضهم يقول : انها حلال وحرام ووعد ووعد ، ومواعظ ، وامثال واحتجاج .

وقول آخر : انها محكم ومتشابه ، وناسخ ومنسوخ وخصوص وعموم وقصص .

وبعضهم يقول : انها من المشكل الذي لا يعلمه الا الله عز وجل .

وبعضهم يقول انها آية في اثبات الصانع ، وآية في اثبات وحدانيته ، وآية في اثبات صفاته وآية في اثبات رسوله ، وآية في اثبات كتبه ، وآية في اثبات الاسلام ، وآية في ابطال الكفر .

وهذه التفسيرات للاحرف السبعة وامثالها قال فيها المراسي : لا أدري مستندهما ولا عمن نقلت . ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الاحرف السبعة ، بما ذكر مع انها كلها موجودة في القرآن فلا أدري معنى التخصص ، ومنها اشياء لا أفهم معناها على الحقيقة (7) .

وقال بعضهم : انها ما يدخل في اللغة مثل الهمز والقح والكسر ، والامالة والتفخيم والمد والقصر .

ومن ابرز الذين تصدوا لتفسير هذا الحديث وقدموا عطاءات وآراء

(7) انظر الايمان 1/ 49 .

فرضت نفسها على الباحثين والدارسين ابن قتيبة الدينوري المتوفي سنة 276 هـ ، والامام الطبري ابو جعفر المتوفي سنة 310 هـ وابو الفضل الرازي المتوفي سنة 454 هـ ، وابن الجزري الدمشقي المتوفي سنة 833 هـ وقبل ان اعرض لنظرياتهم أشير الى ان ماقدمه هؤلاء من آراء تعتمد اساسا على استقراء ما نقل اليها من اوجه القراءات المختلفة ، ثم حاولوا ايجاد سبعة اوجه للخلاف ليتحقق لهم السبعة ، ومعنى ذلك ان الامر لم يحسم ، ويقبل الاخذ والرد ، وعلى هذا فقد ابدى بعض المعاصرين ملاحظات سنعرض لها بعد قليل ونبدي وجهة نظرنا فيها .

اولا : رأي ابن قتيبة : يقول : وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة اوجه ملخصها :

(1) الاختلاف في اعراب الكلمة او حركة بنائها بما لايزيلها عن صورتها في الكتاب ولايغير معناها كقوله تعالى : «هن اظهر لكم» وقرئت اظهر بالنصب .

(2) الاختلاف في اعراب الكلمة وحركة بنائها بما يغير معناها ولايزيلها عن صورتها في الكتاب كقوله تعالى : «ربنا باعد بين اسفارنا» وقراءة ربنا باعد بين اسفارنا .

(3) الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولايزيل صورتها قوله تعالى : «كيف ننشزها» وقراءة «كيف ننشزها»

(4) الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولايغير معناها كقوله تعالى : «الا صيحة واحدة» وقراءة «الازقية واحدة» .
«وطلح منضود» وقراءة «وطلح منضود» .

(5) الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى :

(6) الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى : «وجاءت سكرة الموت بالحق» وقراءة «سكرة الحق بالموت» .

(7) الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى : «له تسع وتسعون نعجة» وقراءة «نعجة انثى» .

وَذَانُ ابْنِ قَتِيْبَةٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَدْرَكَ أَنَّ نَاحِيَةَ الْإِدَاءِ لِلْفِظِّ قَدْ فَاتَتْهُ وَهِيَ نَاحِيَةٌ مُمْتَزِةٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ خُصُوصًا وَهِيَ بَاقِيَةٌ مَنْقُولَةٌ فِي آدَاءِ الْقِرَآءَاتِ الَّتِي وَصَلَتْهَا فَقَالَ مَعْقِبًا «فَالْهَذْلِي يَقْرَأُ عَنِّي «مَيْن» يَرِيدُ «حَتَّى حِينَ» لِأَنَّهُ هَكَذَا كَانَ يَلْفِظُهَا وَيُسْتَعْمَلُهَا ، وَالْأَسَدِيُّ تَعْلَمُونَ وَنَعْلَمُ بِالْكَسْرِ وَالتَّمِيمِيِّ يَهْمِزُ ، وَالْقُرَشِيُّ لَا يَهْمِزُ وَالْآخَرُ يَقْرَأُ «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ» وَغِيضُ الْمَاءِ «بِأَشْمَامِ الضَّمِّ مَعَ الْكَسْرِ وَهَذِهِ بِضَاعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا بِأَشْمَامِ الْكَسْرِ مَعَ الضَّمِّ وَ«مَالِكٌ لِأَتَانَنَا» بِأَشْمَامِ الضَّمِّ مَعَ الْإِدْغَامِ وَهَذَا مَا لَا يَطُوعُ بِهِ كُلُّ لِسَانٍ» ثُمَّ قَالَ : وَلَوْ أَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَمَرَ أَنْ يَزُولَ عَنْ لُغَتِهِ وَمَا جَرَى عَلَيْهِ اعْتِيَادُهُ طِفْلًا وَنَاشِئًا وَكِهْلًا لَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَظُمَتْ الْمُحَنَّةُ فِيهِ ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ إِلَّا بَعْدَ رِيَاضَةٍ لِلنَّفْسِ طَوِيلَةٍ وَتَخْلِيلِ لِللسَانِ وَقَطْعٍ لِلْعَادَةِ (8) .

ثَانِيًا : وَقَدْ سَلَكَ أَبُو الْفَضْلِ الرَّازِي مِنْهَجَ الْإِسْتِقْرَاءِ كَذَلِكَ فَانْتَهَى إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ابْنِ قَتِيْبَةٍ فَقَالَ (9) : الْكَلَامُ لَا يَخْرُجُ عَنْ سَبْعَةِ أَوْجِهٍ مِنَ الْإِخْتِلَافِ :

(1) اِخْتِلَافُ الْأَسْمَاءِ مِنَ الْإِفْرَادِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ وَالتَّثْنِيثِ وَالمُبَالَغَةِ وَغَيْرِهَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» وَقَرِئَ لَا مَانَتَهُمْ بِالْإِفْرَادِ .

(2) اِخْتِلَافُ تَصْرِيفِ الْأَفْعَالِ مَاضٍ وَمُضَارِعٍ وَأَمْرٍ - وَيُمَثَّلُ لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» بِنَصْبِ رَبَّنَا ، وَبَاعِدْ فَعَلَ طَلَبٌ - أَمْرٌ وَقُرِئَتْ رَبَّنَا بِالضَّمِّ مُتَبَدِّئًا ، وَبَاعِدْ فَعَلَ مَاضٍ - كَمَا قُرِئَتْ بَعْدَ .

(3) اِخْتِلَافُ وُجُوهِ الْأَعْرَابِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : «وَلَا يُضَارِ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ قَرِئٌ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَضَمِّهَا ، وَمِثْلُهُ : «ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ» فَالْمَجِيدُ قُرِئَتْ بِالضَّمِّ ، وَقُرِئَتْ بِالرَّفْعِ ؟ وَلَا فَرْقَ فِيهِ أَنْ يَكُونَ الْإِخْتِلَافُ فِي

(8) انظر : ابن قتيبة تاويل مشكل القرآن ص 28 وما بعدها .

(9) انظر ذلك نقلاً عن اللوائح لأبي الفضل الرازي في فتح الباري 29/9 ط السلفية ،

وابن الجزري في النشر 27/1 والانتبان للسيوطي 46/1 .

وجه الاعراب بين اسم او فعل .

(4) الاختلاف بالنقص والزيادة كما في قوله تبارك وتعالى : «وما خلق الذكر والانثى» وقرئت ايضا «والذكر والانثى» ونحو قوله تعالى : «وما عملته ايديهم» وقرئت ايضا «وما عملت ايديهم» .

(5) التقديم التأخير ، نحو قوله تعالى : «وجاءت سكرة الموت بالحق» قريء ايضا «وجاءت سكرة الحق بالموت» .

(6) الاختلاف بالابدال في كلمة بأخرى او حرف بأخر كما في قوله تعالى : «وانظر الى العظام كيف ننشزها» وقريء «ننشرها» بالراء ، وقوله تعالى : «ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» قريء «فتثبتوا» وقوله تعالى : «وطلح منضود» وقريء «وطلع منضود» وقوله تعالى : «وما هو على الغيب بضنين» وقريء «بظنين» .

ولافرق في هذا الوجه ان يكون بين الاسم والفعل ايضا .

(7) اختلاف اللغات - اي اللهجات - كالفتح والامالة ، والترقيق والتفخيم ، والاضمار والادغام ونحو ذلك ، كقوله تعالى : «وهل أتياك حديث موسى» تقرأ بالفتح والامالة ، في اتي ، وموسى وقوله تعالى : «بلى قادرين على ان نسوي بنانه» بالفتح والامالة في بلى ، وهنا كذلك لافرق بين الاسم والفعل والحرف في هذا الحرف .

وقد ارتضى هذا الاستنباط وهذا المنحى العلامة الزرقاني ودافع عنه بحرارة في كتابه مناهل العرفان ، ويقول الحافظ ابن حجر : «وقد أخذ - اي الرازي - كلام ابن قتيبة ونقحه» ؟

ثالثا : وتابع ابن قتيبة الحافظ ابن الجزي ويقول «انه وصل الى ذلك بعد امعانه النظر نيحا وثلاثين سنة وتتبعه للقراءات صحيحها وشاذها ، وضعيفها ونكرها ، وساق اوجه الاختلاف وهي نفس كلام ابن قتيبة تقريبا (10) ومثلهم القاضي ابن الطيب كما نقله عنه القرطبي في تفسيره.

(10) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزي 26/1 .

رابعاً : أما العلامة شيخ المفسرين ابو جعفر الطبري فقد ذهب وجهة اخرى اذ قرر ان الاحرف السبعة سبع لغات او سبعة السنن من بين السنن العرب التي يعجز عن احصائها وتكون هذه الحروف السبعة في الكلمة الواحدة باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني نحو : أقبل ، وتعال وهلم ، وعجل وأسرع ووافقه على هذا القول سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والطحاوي ، وهو كما يقول القرطبي : قول أكثر أهل العلم ، قال الطحاوي : وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكرة قال :

جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ على حرف فقال ميكائيل : استزده فقال : اقرأ على حرفين ، فقال : ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف فقال : اقرأ فكل كاف شاف الا ان تخط آية رحمة بآية عذاب ، او آية عذاب بآية رحمة ، نحو هلم وتعال وأقبل واذهب ، واسرع وعجل (11) .

والطبري والطحاوي بناء على تقريرهما للاحرف السبعة بهذه الكيفية اعتبرا ان ذلك كان رخصة في اول الامر لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش ثم نسخ بزوال العذر كما يقول الطحاوي وابن عبد البر حين تيسر الحفظ وكثر الضبط ، وتعلم الناس الكتابة .

ثم يمضي الطبري قدما الى الامام - ومن هذا المنطلق - ليقرر ان جمع عثمان رضي الله عنه للمصحف كان على حرف واحد دون الستة الاخر فيقول : ثم لما رأى الامام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة وخاف من تفرق كلمتهم ، جمعهم على حرف واحد ، وهذا هو المصحف الامام ، واستوسقت له الامة على ذلك بل أطاعت ، ورأت فيما فعله الرشد ، والهداية ، وتركزت القراءة بالاحرف الستة ، التي عزم عليها امامها في تركها طاعة منها له ، ، ، حتى درست

(11) انظر : الاتقان 46/1 ، وفضائل القرآن لابن كثير 460/7 ، وقد ذكرنا سابقاً ان هذه الكلمات في حال وجودها ، وليس للقاريء او لاحد من البشر ان يضمها ممن عندياته .

من الامة معرفتها ، وانقضت آثارها ثم يقول الطبري رادا على من يعترض كيف يجوز للامة ترك قراءة أقرأمموها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيجيب بأن الاحرف السبعة رخصة وليست عزيمة ، لانها لو كانت فرضا لموجب على الامة العمل بالسبعة .

وكان الطبري رحمه الله يرى ان امامه عددا من القراءات المختلفة فما يقول فيها ، وهل هي في نطاق حرف او عدة أحرف ؟ فيجيب رحمه الله على ذلك بقوله : فأما ماكان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف الى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف) بمعزل لان المراد في مثل هذا ليس بكفر في قول أحد من علماء الامة ، وقد اوجب صلى الله عليه وسلم بالمراء في الاحرف السبعة الكفر (12) ، وقد نقل عنه في كتاب القراءات قوله : كل ماصح عندنا من القراءات انه علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته من الاحرف السبعة التي اذن الله له ولهم ان يقرأوا بها القرآن فليس لنا ان نخطيء من قرأ ، اذا كان ذلك موافقا لخط المصحف ، فان كان مخالفا لخط المصحف لم نقرأ به ووقفنا عنده وعن الكلام فيه (13) .

واعتبر مكي ابن ابي طالب هذا القول الاخير يتناقض مع قوله السابق ان الاحرف الستة اندثرت وعفت آثارها (14) ولكن لو امعنا النظر لما وجدنا هناك تناقضا لان الطبري في هذا الرأي يعترف ان بعض الاحرف الستة المنحذرة قد يكون وصلنا او وصلنا بالفعل وليس كلها ، فاذا صح اسنادها وثبت أنها من تعليم الرسول فلانعد القراءة بها خطأ اذا وافقت الرسم العثماني لان الاجماع حصل عليه وان لم توافقه ننقلها ولا نقرأها في الصلاة والعبادة ... ، وذلك لان الطبري يرى اختلاف القراءات التي

(12) انظر تفسير الطبري 21/1 ط الطبري

(13) انظر تاريخ القرآن لعبد المصور شاهين نقلا عن الابانة عن معاني القراءات

لمكي بن ابي طالب القيسي .

(14) المرجع السابق .

اليوم كما قدمه في رفع حرف او بضمه وجره وتسكينه ... خارج عن اطار الاحرف السبعة المقصودة في الحديث .

اما نظرية الطبري باجمال فلا تثبت عند الاختبار ، لان فيها اخايد كثيرة ، منها ان حكمة التيسير ورفع الحرج التي انزلت لها الاحرف السبعة قد اغلقوا بابها بنسخ المصاحف العثمانية علما بان القرآن الكريم كتاب الخلود . وآياته تنطق انها ميسرة لكل طالب سهلة امام كل قاصد «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» والنبي صلى الله عليه وسلم بين ان هذا القرآن سيملا نوره الخافقين وينضوي تحت لوائه من كل الاجناس والالسن .

واذا صح ذلك اعني اندثار الحروف الستة بعد النسخ العثماني ، فلم ينقل لنا ان الصحابة الذين تلقوا الحروف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلوا عن حروفهم وعادوا ليقروا القرآن من جديد على غيرهم بما يوافق الحرف الذي اختاره عثمان ، بل تجد ان الذين كانوا يتصدون للاقراء نقل عنهم ما يخالف الرسم العثماني والحرف الذي اختاره عثمان، من هؤلاء الزراء : ابن مسعود ، ابي بن كعب ، زيد بن ثابت ، وعائشة وابو هريرة وابن عباس وغيرهم . وكتب الحديث والكتب المختصة بهذا الشأن امثال كتاب المصاحف فيها الكثير من ذلك (15) .

ويمكننا القول ان رأي الطبري حيال تفسير الاحرف السبعة الواردة في الحديث كان سلبيا رغم ما قدمه من توضيحات الا انها كانت تبريرا لهذه السلبية التي تنقل الباحث الى شيء من الغموض وعدم المعرفة لهذه الاحرف السبعة ولهذا ضعفه ابن عطية وغير واحد من المتقدمين .

خامسا : وقالت طائفة من اعيان العلماء كابني عبيد ، وشطب والازهري، وابن عطية وصحه البيهقي في الشعب ، واختاره الابهرى ان المراد بالاحرف السبعة (سبع لغات من لغات العرب بمعنى ان القرآن لا يخرج عن سبع لغات من لغات العرب) واعترض عليهم بأن القبائل أكثر من سبع

(15) وانظر اعتراضات اخرى على رأي ومن وافقه في مناهل العرفان للزرقاني 1/168 .

واللغات أكثر من سبع ، فاختاروا تحديدها طبقا للفصاحة وهي قريش ، هذيل ، ثقيف ، هوازن ، كنانة ، تميم ، اليمن ، او بلغة المجز من هوازن وفي هذا يقول ابو عبيد : ولكنه عندنا انه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة ، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى ، والثالث بلغة أخرى سواهما كذلك الى السبعة ، وبعض الاحياء اسعد بها واكثر حظا فيها من بعض (16) .

وهذا الاتجاه عند النظر والاختبار لا يثبت كذلك لان هذه القبائل اختلف فيها اختلافا كبيرا اعني في تحديدها ، ثم اننا نجد في القرآن لغات من قبائل أخرى كثيرة ، ثم ان حكمة التيسير على الشيخ العاسي ، والغلام الصغير ، والمرأة العجوز لم تتحقق بل ربما زاد الامر احراجا لهم وصعوبة عليهم !!!

ولهذا فاننا نرى ان اوضح الآراء واكثرها ايجابية في تفسير هذه الاحرف وبيانها هو ما انطلق منه ابن قتيبة ونقحه الرازي ووصل اليه ابن الجزري ، مع لفت النظر ان ما قالوه ليس قاطعا ولا جازما في هذا الباب ، وقبل ان ننهي هذه المقرة نشير الى موقف علماء الشيعة من الاحرف السبعة وانه كان مضطربا غير واضح ، فاهل السنة والجماعة لم يردوا الحديث بناء على منهجهم العلمي في قبول الاخبار الصحيحة ، ثم لان هذا الحديث بلغ حد التواتر في منهجهم ، اما الشيعة فقد قبله بعضهم وهو الغالب على المتقدمين منهم ، ومن اعلام الشيعة المتقدمين الذين قبلوه شيخ الطائفة الطوسي المتوفى 460 هـ في تفسيره البيان ، فقد حكى عدة اقوال في معنى الاحرف السبعة التي يقول ان المخالفين ردوها ، وختم اقواله برأي ابن قتيبة ومن وافقه وتابعه ثم قال : «وهذا الخبر عندنا وان كان واحدا لا يجب العمل به ، فالوجه الاخير اصلح الوجوه على ما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلف القراء فيه» وقد قبل هذا الحديث وارتضاه ابو عبد الله الزنجاني في كتابه تاريخ القرآن .

(16) فضائل القرآن لابن كثير 457/7 ، وفتح الباري لابن حجر 26/9

ومن الذين رفضوه وسخروا من المخالفين !! (اي أهل السنة) ، ايسو القاسم الموسوي الخوئي في تفسيره البيان - وهو معاصر - ودلل على رأيه بنقد بعض الاحاديث الواردة في الموضوع ونقد تفسيراتها واطال في ذلك ثم ختم بقوله «وحاصل ماقدمناه ان نزول القرآن على سبعة احرف لايرجع الى معنى صحيح ، فلا بد من طرح الروايات الدالة عليه ، ولا سيما بعد ان دلت احاديث الصادقين على تكذيبها ...»

وأساس رده لها ينطلق من قضية مذهبية !!

(4) المصاحف العثمانية والاحرف السبعة :

سؤال يرد عن مدى اشتغال المصاحف التي كتبها سيدنا عثمان على الاحرف السبعة ، وقد بحثه العلماء ووقفوا من الجواب عنه مواقف متباينة تنطلق اساسا من تفسير كل واحد للاحرف السبعة وآرائه في الموضوع ، قال ابن الجزري : «واما كون المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الاحرف السبعة فان هذه مسألة كبيرة اختلف العلماء فيها فذهبت جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين الى ان المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الاحرف السبعة وينوا ذلك على انهم لا يجوز للامة ان تهمل نقل شيء من الحروف السبعة ، ولا ان يجمعوا على ترك شيء من القرآن .

وذهب جمهور العلماء والائمة الى ان المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الاحرف السبعة فقط جامعة للمعرضة الاخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن الجزري : وهذا هو الذي يظهر صوابه (17) .»

والواقع ان هذا الذي استصوبه ابن الجزري وجرى عليه كثيرون غير مسلم ، فابن مسعود مثلاً قد روي عنه ما يخالف المصحف العثماني وهو من الذين حضروا العرضة الاخيرة كما اخرج ذلك الحاكم باسناد صحيح وغيره عن ابن عباس قال : اي القراءتين ترون كان آخرها؟ قالوا :

(17) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري 31/1 والانتقان 49/1 ومناهل

قراءة زيد قال : لا أن رسول الله صلى عليه وسلم كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل عليه السلام ، فلما كانت السنة التي قبض فيها عرضه عليه عرضتين فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن (18) .

فطى التسليم بحضور زيد العرضتين الأخيرتين أو أحدهما وهذا ماأراه فان اشتتمال الرسم العثماني على مايحتمل من الاحرف السبعة وفق العرض الاخير ينفي الخلاف بين زيد وعبد الله بن مسعود ، وهذا جاء ماخالفه في بعض المواطن كما في قوله تعالى : «ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين» سورة الذاريات الآية (58) .

فقد اخرج عنه الامام احمد وابو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال : على شرط الشيخين عنه بلفظ : أقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أنا الرزاق ذو القوة المتين ، وقراءة الذكر والانثى - في قوله تعالى : وماخلق الذكر والانثى فابن مسعود وابو الدرداء جاء التصريح انهما سمعاها من في النبي صلى الله عليه وسلم ، وان حاول بعض المعاصرين (19) ان يعمم بقوله (وغني عن البيان انها كلها روايات للتفسير المجرد) ، وفي هذا الكلام مافيه ، بل الامر يحتاج الى بيان وتفصيل

وقد ذهب ابن جرير الطبري والذين رأوا رأيه الى ان المصاحف لم تشتمل الا على حرف واحد من الحروف السبعة ، وهذا المذهب وامس وضعيف بما جاء من روايات عديدة ومن طرق كثيرة نقلها ابن جرير ذاته في تفسيره في القراءات التي تلقاها الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم لكن الطبري ينفي ذلك بأن هذه القراءات هي من حرف واحد ، والاحرف السبعة كانت رخصة ثم انتهت بنسخ المصحف الامام .

والذي نراه يتفق الى حد ما مع مايراه العلامة الزرقاني حيث يقول : «والتحقيق ان القول باشتغال المصاحف العثمانية على الاحرف السبعة كلها او بعضها يتوقف على امرين : أحدهما : تحديد المراد من الاحرف السبعة،

(18) انظر مستدرک الحاكم 2/ 230 .

(19) انظر ، عبد الصبور شاهين ، تاريخ القرآن ص 147 .

وثانيهما الرجوع الى ما هو مكتوب ومماثل بتلك المصاحف في الواقع في نفس الامر ... ثم يقول : ونحن اذا رجعنا بهذه الواجهة السبعة الى المصاحف العثمانية وما هو مخطوط بها في الواقع ونفس الامر نخرج بهذه الحقيقة التي لاتقبل النقص ، ونصل الى فصل الخطاب في هذا الباب وهو ان المصاحف العثمانية قد اشتملت على الاحرف السبعة كلها ، ولكن على معنى ان كل واحد من هذه المصاحف يشتمل على ما يوافق رسمه كلا او بعضا ، بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأسا (20) ثم راح يضرب الامثال على المذهب الذي انتصر له في تفسير الاحرف السبعة الا وهو مذهب الرازي ، ولكنه عندما جاء الى الوجه الرابع وهو الاختلاف بالزيادة والنقصان ، قال : «ومن هذا الوجه ما لا يوافق رسم المصحف بحال من الاحوال نحو قوله سبحانه «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا» وقرأ ابن عباس هكذا «يأخذ كل سفينة صالحة غصبا» بزيادة كلمة صالحة، فان هذه الكلمة لم تثبت في مصحف من المصاحف العثمانية فهي مخالفة لخط المصاحف وذلك لان هذه القراءة وما شاكلها منسوخة بالعرضة الاخيرة ويدل على النسخ اجماع الامة على ما في المصاحف .

ثم في الوجه الخامس وهو الاختلاف بالتقديم والتأخير ... قال : ومنه ما خالف رسم المصحف نحو قوله سبحانه وتعالى : «وجاءت سكرة الموت بالحق» وقرئ : «وجاءت سكرة الحق بالموت» ، فان هذه القراءة الثانية لا يحتملها رسم المصحف وان كانت منقولة عن ابي بكر ، وطلحة ابن مصرف ... فهي منسوخة بالعرضة الاخيرة ، وباجماع الصحابة على المصحف العثماني ... الخ (21) .

ونقف هنا مع العلامة الزرقاني رحمه الله تعالى لنقول : ان ما استدلل به في هذين الوجهين الزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير غير مسلم له ، لانه يدعي أن هذه القراءات التي فيها زيادة او نقصان او فيها تقديم وتأخير

(20) انظر مناهل العرفان 162/1 ، وعبارته رحمه الله في شيء من الغموض !! .

(21) المرجع السابق .

منسوخة بالمعرضة الاخيرة ، وكما هو مقرر في علم الأصول لا نستطيع أن ندعي النسخ الا بدليل ، ولا دليل هنا ، ويستدل على نسخها باجماع الصحابة على المصحف العثماني ونقول ان اجماع الصحابة كان فعلا على صحة ما في المصحف العثماني انه متلقى من النبي صلى الله عليه وسلم ، واجماعهم هذا لا يدل مطلقا على نسخ القراءات التي لم تكتب لان اصحابها كما يصرحون انهم تلقوها من في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في احاديث كثيرة كما اسلفت ، ثم ان علماء الأصول يقررون ان الاجماع ولو كان من الصحابة لا ينسخ النص ، يقول الغزالي في المستصفى (الاجماع لا ينسخ به ، اذ لا نسخ بعد انقطاع الوحي) ، وكذلك يقول الشوكاني في ارشاد الفحول (الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به عند الجمهور ، اما كونه لا ينسخ فلان الاجماع لا يكون الا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسخ لا يكون بعد موته ...)

وفي مسألتنا هذه ليس هناك دليل على النسخ في حياته ، حتى ولا اجماع على أنها منسوخة بعد موته صلوات الله وسلامه عليه ، كما ان صنيع الفقهاء والعلماء الذين استنبطوا منها أو رتبوا عليها أحكاما دليل على انهم لا يرونها منسوخة .

ولهذا ، فالمصاحف العثمانية قد اشتملت على جل روايات الاحرف السبعة ولم يفتحها الا القليل وليس كلها كما قال الزرقاني (22) وكان لعمل سيدنا عثمان رضي الله عنه اثر كبير في حفظ هذه الاحرف ، وضبطها .

(22) قال الحافظ ابن حجر «والحق ان الذي جمع في المصحف هو المتفق على انزاله المقطوع به المكتوب بامر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه بعض ما اختلف فيه من الاحرف السبعة لا جميعها ، كما وقع في المصحف المكي (تجري من تحتها الانهار) في آخر براءة ، وفي غيره بخلاف من ، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الامصار في عدة واوت ثلثة فسر بعضها نون بعض ، وعدة هاءات ، وعدة لامات ، ونحو ذلك ، وهو محمول على انه نزل بالامر من ، وامر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه لشخصين ، او اعلم بذلك شخصا واحدا وامره بابناتهما على الوجهين .

5 - آثار الاحرف السبعة ودلالاتها :

ترتب على الاحرف السبعة آثار جد مهمة في الفقه الاسلامي والحياة الاسلامية ، واللغة العربية ، فقد رتب الفقهاء عليها احكاما شرعية استبانة من خلال هذه القراءات أو تأكدت بها كما في قوله عز وجل : « وان كان رجل يورث ثلاثة أو امرأة وله أخ أو أخت ، فلكل واحد منهما السدس » وقد جاء «وله أخ أو أخت من أم» بزيادة «من أم» فقبين بها ان الميراث بالاخوة في هذا الحكم الاخوة للام دون الاشقاء ومن كانوا من أب .

ومثلها قوله تعالى : « فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » وجاء في قراءة « أو تحرير رقبة مؤمنة » فذهب جمع من الفقهاء بناء على هذه القراءة الى اشتراط الايمان في الرقيق الذي يعتق في كفارة اليمين ، ومن استقصى الأبواب الفقهية يتبين له أن أثر الاحرف السبعة كان بعيد المدى في الفقه الاسلامي كما ان الاحرف السبعة قد حافظت على لهجات عربية ومعان لغوية ما كنا لنعرفها لولا ورودها في هذه الاحرف ، وكما يقول ابن الجزري رحمه الله (تنوع القراءات ، يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدىء من جمال هذا الايجاز وينتهي الى كمال هذا الاعجاز) .

وهذه الاحرف برهان قاطع ودليل ساطع على اعجاز النص القرآني الذي تعددت حروفه وتفرقت وجوهه حتى بلغت سبعة ، وتحدي الانس والجن قائم على ان يأتوا بمثله فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلا .

كما انه دليل صدق على أنه منزل من عند الله فبالرغم من هذا التعدد لم يقع فيه تناكر في المعاني أو ركابة في اللفاظ والاساليب ، بل تجسده على اي حرف قرأت ، ومن أي وجه نظرت قمة البلاغة ، وذروة البيان ، وصدق الله العظيم : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .